كربلاء نصرًا وهزيمة

آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم

مركز المقاوم للثقافة والإعلام

كربلاء
نصرًا وهزيمة

نظرات في حقيقة المواجهة

سلسلة كربلاء في فكر آية الله قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

دائماً ما تكون الصراعات الدموية وفق المقاييس المادية أجلى في حقيقة نتائجها ونهاياتها، لكنها وفق مقاييس الحق والباطل فإنها تأخذ نحواً آخر.

ماهي طبيعة الصراع؟

ماهي نتائجه؟ ومن هو المنتصر؟

في هذا الكتيب المختصر من سلسلة «كربلاء في فكر آية الله قاسم» نقدم لكم ٤ خطب لسماحته تدور حول هذا المحور، لنتعرف من خلالها على حقيقة المواجهة في كربلاء، ومنها نقرأ واقعنا وصراعاتنا في مختلف الميادين والأصعدة.

ويتطلع «مركز المقاوم للثقافة والإعلام» في هذه السلسلة الثقافية أن يقدم لكم أهم المفاهيم الفكرية الأصيلة التي أثارها سماحة آية الله قاسم خلال سنوات جهاده الطويل، راجين من الله أن تكون مدار البحث والمطالعة والفائدة لمختلف الفئات، سيّما الشباب.

مركز المقاوم للثقافة والإعلام
محرم ١٤٤٠هـ

ولذلك انتصر، وسيبقى منتصرًا
ولذلك قادَ أجيالًا على طريق الحقّ
وسيواصل قيادتَه للناس على هذا الطريق

كربلاء.. نصرًا وهزيمة*

● على المستوى العسكري انتصر جيشُ يزيد، بل قضى على جيش الحسين عليه السلام.

وانتصار معسكر يزيد هذا النوع من النصر إنّما هو لكثرة عددٍ وعدّة، وماكان القضاء على معسكر الإمام عليه السلام عن ضعفٍ أو انهزام، أو لقلّة صمودٍ وبسالة؛ فلقد كان ذلك المعسكرُ الأبيّ من أروع أمثلة العساكر الإيمانيّة الرساليّة في تاريخ الدّين الحقّ كلِّه صمودًا وبسالة، وتضحيةً وفداء.

وقد أعطت بطولاتُه دروسًا عالية للآتين بعده في الشّجاعة، والإقدام، والتفوّق في الروح القتالية، وفاعليّتها العمليّة.

وقائد معسكر الحسين هو الإمام الحسين عليه السلام نفسه، ومن تحت قيادته أخوه العباس ابن عليٍّ عليهم السلام جميعًا.

والشّجاعة، والصّمود، والقدرة القتالية للحسين عليه السلام فوق أنْ تُوصَف، ويأتي العبّاس عليه السلام صورةً عن الإمام في الشجاعة، والقوّة، والفداء، والثبات، والصمود بدرجةٍ عالية.

ما كان وراء القضاء على معسكر الحقّ تحت قيادة الحسين عليه السلام، والقضاء على الحسين هو قِلّةٌ من عددٍ وعدّة، وخذلانُ أمّةٍ كانت في أشدّ انتكاسةٍ لها يوم كربلاء دينًا وبصيرةً وإرادة.

[*] خطبة الجمعة (٦٢٣) ٦ محرم ١٤٣٦ هـ - ٣١ أكتوبر ٢٠١٤م

- ونصرٌ كان ليزيد ما أعقب إلّا خزيًا للمنتصر، وجيشه المرتزِق
- ووصمةَ عارٍ في تاريخ الأمّة
- وإذلالًا لها، وتفشّيًا في الظلم على يد حكّامها
- وخسارةً للدين الذي يمثّل روح الحياة الحقيقيّة في الأرض، والنور الذي يهتدي به الإنسان، وبهداه يقيم حضارته الراقية، وتتحقّق له الغاية الكريمة من هذه الحياة[1].

أعقب انتصار يزيد مآسي للأمّة لم تنقطع ولا زالت تعيشها حتّى اليوم، وستبقى جاثمة على صدرها حتّى يأتيَ يومٌ ينتصر فيه سليل الإمام عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف، ويسكت صوت الباطل في الأرض.

وفي مقابل نصرٍ عسكريٍّ تحقّق ليزيد، وتصفيةٍ جسديّةٍ لجيش الإمام عليه السلام بعد بطولاتٍ عجيبةٍ مذهلةٍ أتعبت أعداء ذلك الجيش ممّا سجّله ذلك الجيش وإمامه المعصوم، وبعد روحٍ مَثَلٍ[2] هناك نصرٌ عظيمٌ للإمام عليه السلام، وهزيمة فاضحة ليزيد.

كان فتحٌ ونصرٌ للحسين عليه السلام؛ لخطه، لمدرسته، لهدفه، للدين الذي كان كلّ كفاحه من أجله.
هو النصر الذي بشّر عليه السلام به كلَّ من سيلتحق به، ويستشهد بين يديه، وحذّر كلَّ من يتخلّف عنه بخسارته، وأنه لا يبلغه المتخلّف مع من سواه[3].

[١] نصر يزيد؛ ذلك النصر السخيف كم أفقد الدين من روعته، ومن نوره؟ وكم طمس من الحقّ؟ وكم أحدث من تجفيف منابع الخير في هذه الأمّة؟ وكم قسى عليها وعلى الإنسانيّة جمعاء؟

[٢] بعد أنْ ضربوا مثالاً للروح العالية السبّاقة للتضحية والفداء في سبيل الله، كانت على يد الشابّ والشيخ الطاعن في السنّ من كلّ من ضمّ ذلك الجيش.

[٣] تأتي قيادات مؤمنة ثائرة على خطّ الحقّ، ومن أجل الحقّ، هذه القيادات السيرُ وراءها رشيد، ولكن لنْ تُحقّق النصر والفتح الذي حقّقته ثورة الحسين عليه السلام؛ حتّى يأتي يوم القائم، اليوم الكاسح للظلم في الأرض.

إنّه النصر على شوائب الأرض في النفس؛ حيث تكون عالقةً معيقةً لها عن القرب الإلهي.[٤]

ونصرُ تحقيق قفزةٍ عاليةٍ للرّوحِ في الشهادة بين يديّ الحسين الطاهرتين عليه السلام.

وإنه نصرٌ بالإبقاء على الصورة الأصيلة الصِّدْق لدين الله.

ونصرُ الإسقاط لأيّ قيمةٍ كاذبة يدّعيها الإعلام الضالّ لكلّ ما يقابل الدّين ويناقضه[٥].

ونصر الاستعادة للإرادة الرساليّة الحرّة للأمّة، ونصرُ الإعداد الناجح لنصرٍ شاملٍ عظيمٍ كاسح يقضي على حكم الطواغيت في الأرض، وعبادةً كلّ الأوثان، ويعُمّ العالم كلّه بالخيرات والبركات.

وهو نصرٌ خطَّطَ له الإسلام، وخطَّطت له ثورةُ كربلاء، ولا بدّ أنْ يكون هذا النصر على يد قائم آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله، وعجَّل فرج وليّه المنتظر.

وهو النصر المقصود أوّلًا لثورة الإمام الحسين عليه السلام، كان معه نصرٌ عسكريّ أو كانت هزيمة، وهو نصرٌ قد تحقّق للثورة المباركة، ومن آياته ودلائله البيِّنة هذه الصحوة الإسلاميّة المنتشرة في أوساط أهل الإيمان، والأوساط الشبابيّة منها على الأخصّ، والانشداد العظيم للإمام المنتظَر عليه السلام، والاستعداد للتضحية بين يديه الكريمتين.

---

[٤] ماذا كان نصر الإمام عليه السلام؟

[٥] ما أكثر الدعوات بأنّ هذا الحكم يمثّل الدّين؛ حكم بني أميّة كان قد ادّعى له بأنّه يمثّل الدين، حكم بني العبّاس، حكم العثمانيين، الأحكام الفاسدة الظالمة الباغية الآن كلّها تدّعي بأنّها تمثّل الإسلام، وتنتصر للإسلام، وتمثّل هويّة الأمّة، وتدافع عنها. هذا كلّه سقط، كلّه صار شيئًا تافهًا في وعي الأمّة بفضل ثورة الإمام الحسين عليه السلام على مثل هذا النوع من الحكم المتلصّص كذبًا على الإسلام المدّعي له زورًا.

ومن آيات ذلك النصر

هذا الرفض الواعي لكلّ الأطروحات الأرضيّة المجافية للإسلام.

ومن هزيمة يزيد

أنْ بدأت ثورات الرفض للحكم الأموي بعد وقتٍ قصيرٍ من يوم الطفّ، ومذبحة كربلاء، ولم يقوَ ذلك الحكم في الأخير على الصمود، ونشطت الروح الرساليّة الثورية في نُخَبٍ من الأمّة، وانهدم حاجز الخوف، وانحسرت روح فقد الثقة والهزيمة.

وصار أيُّ حكمٍ بعد الحكم الأموي مما يمثّل امتداداً له فيه تزويرٌ للإسلام، وافتراءٌ عليه، وإنْ تسمّى باسمه، ورفع شعار الأخذ به التفافاً على وعي الأمّة غير قادرٍ على إقناعها، وتغييب صوت الحقّ الرافض لذلك الحكم فيها.

كانت هزيمةٌ نكراء ليزيد فيما أراده من محو ذكر أهل البيت عليهم السلام الذين في محو ذكرهم محوٌ للإسلام، وفي حياة ذكرهم حياةٌ له حقَّ الحياة. فذكر أهل البيت عليهم السلام يكاد اليوم يُغطّي الأرض، ويَعُمّ العالم بأكمله، وذكرهم الجميل صار ينفذ بقوّة وسرعةٍ فائقتَين إلى أفئدة الناس المتطلّعين إلى الحقّ والجمال مِمَّن لم يخسروا عقولهم.

ونوعُ حكمٍ أراد له يزيد أن يبقى مهيمنًا على الأمة، وجَهِد من أجل بقائه الكثيرون فَقَدَ كلَّ مكانته في وعيها، وصار يواجه بوعي رافضٍ شديد من كل الأوساط على مستوى الأمة والعالم[٦].

[٦] أراد يزيد للحكم الوراثي أن يكون الوريث الوحيد لحكم الإسلام الحق العادل، وليس أنكر اليوم في نظر العالم، وفي نظر الأمة من هذا النوع من الحكم. صار الحكم الوراثي في نظر العالم وفي نظر الأمة حكماً منكراً.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام وصحبه -وهم عددٌ قليل- والذين استُشهدوا في كربلاء وقُتلوا على يد الجيش اليزيدي لهمُ المنتصرون حقًّا. وإنّ المهزوم في معركة الطفّ على المدى القريب والطويل إنّما هو يزيد المنتصر عسكريًّا ومرتزقته الصِّغار اللئام.

انتهت معركة كربلاء لِتُعقِبَ عِزًّا ومجدًا وفخرًا للإسلام الذي ضحّى من أجله الحسين عليه السلام، ودرجةً عالية ومقامًا كريماً متميّزًا في جنّة الخلد، ورضواناً من الله، وقربًا قريبًا منه سبحانه لا جائزة تعدله للإمام الحقّ ولكلّ أنصار الحسين عليه السلام[٧].

وانتهت معركة كربلاء لتعقب خزيًا وهوانًا في الدنيا والآخرة، ومصير شقاءٍ وعذابٍ ليزيد ومن ناصره يوم المعاد.

ولتتعلّم أجيال الأمّة من كربلاء ونتيجتها ألّا تقاتل إلّا في مرضاة الله، وهدى أحكام شريعته، وإلّا فإنّ كلّ نصر، وكلّ ما يحقّق ذلك النصر، وكلّ ما ينتج عنه لا يمُثّل إلّا هزيمة، ولا يعني إلّا خسارةً من حيث يأتي على حساب دين الله مخالفًا لأهدافه.

وإنّ أيّ نصرٍ يعود بالأمّة إلى الظلم والفساد والأثَرَة مِمَّا واجهته ثورتها، وكانت من أجل طيّ صفحته، والقضاء عليه هو فشلٌ وعارٌ وخسارةٌ وخيانةٌ للأمّة، ومحاربةٌ لله العزيز الجبّار.

[٧] انتهت بأن أعقبت كلّ ذلك للإمام الحسين عليه السلام ولأنصاره الذين ضحّوا بين يديه بدرجةٍ وأخرى.

كربلاء..
نصرٌ خالد*

الحسين عليه السلام والصفوة الذين وقفوا معه موقف التضحية التامة باذلين مهجهم في سبيل الله تبارك وتعالى، ولم يألوا جهدًا من الجهد، ولم يدّخروا شيئًا من الطّاقة في خدمة معركتهم، في تغطية أبعاد المعركة من تفكيرٍ وجهدٍ وتخطيطٍ وتضحيةٍ وبسالة **أولئك تحقّق لهم النصر.**

ماذا كان هدف الحسين عليه السلام؟

ما أكثر النصوص وما أكثر المواقف والشواهد العملية التي تفيد بأن الحسين عليه السلام كان يستهدف أحد أمرين، وكل أمر من الأمرين له كلماته وله شواهده وله مواقفه

كان يطلب النصر العسكري من أجل الله، للإسلام، لإقامة الأمة الإسلامية على يديه الشريفتين، لإنقاذ الأمة والعالم

وكان من تخطيطه وما يعلمه أنه يُستشهد ولكن علمه بالشهادة لم يثنيه عن إتخاذ كل الخطوات الممكنة في سبيل تحقيق النصر العسكري.

---

[*] من خطاب ليلة العاشر من المحرم ١٤٣٣هـ، المنامة الموافق ٥-١٢-٢٠١١م

فكان النصر العسكري يتطلب عنصرًا آخر وهو موقف الآمة، حتى يتحقق النصر العسكري على النظام الأموي الضارب في الأرض، كان لابد أن تقف الأمة مع الحسين عليه السلام.

عنصر وقوف الأمة قد تأخر، معركة الحسين عليه السلام والمقدمات التي كان مسئولاً عنها عليه السلام أعطت نتيجتها وذلك أن الحسين عليه السلام لم يكن يخطط لشهادة عابرة تموت مع الزمن القصير، كان تخطيط الإمام الحسين عليه السلام

- لشهادة يستمر عطائها لكل الزمن
- لشهادة لا يستطيع التاريخ أن ينساها
- ولا تستطيع الطاغوتية في الأرض على امتدادها الزمني أن تشوه معالمها
- شهادة تبقى محيية للأمة، باعثة للأجيال، صانعة للروح الثورية، مخيفة للجبابرة والطغاة

هذا النصر تحقق ونحن اليوم نشهده، وكل من كان بالأمس شهده، وستبقى الأجيال القادمة شاهدة له.

- أما النصر العسكري الذي كان من بين عناصره المطلوبه موقف شجاع واعي من الأمة فقد تأخر، وإذا تأخر أي عنصر من عناصر إلى لون من النصر فإن وعد الآية لا يتعهد بتحقيقه، فنصرٌ تأخرّ ونصرٌ تحقّق، والنّصر الذي تأخر هو الذي كانت الأمة مسئولة عنه.

- أما النصر الذي كان مسئولا عنه الحسين عليه السلام وتخطيطه الدقيق وإحكامه للخطه، وتحضير كل المقدمات التي تعطيه النجاح،

فهـذا النـصر وقـد اكتملـت كل المقدمـات فيـه للانتصـار فيـه للـه عـز وجـل قـد تحقـق.

واليـوم الأمـة تفيـق، وتبـدأ عـودة لوعـي الحسـين عليـه السـلام، وتبـدأ تـدركُ أن عليهـا أن تسـمع نـداء الحسـين عليـه السـلام فترفـض الـذل وتطلـب العـز وتقـف الموقـف الصلـب في وجـه الظالمـين، نعـم بـدأت العـودة لمدرسـة الإمـام الحسـين عليـه السـلام، لفكـر الإمـام الحسـين، لثوريـة الإمـام الحسـين عليـه السـلام، للعـزة التـي كانـت كان يطالـب بهـا الإمـام الحسـين عليـه السـلام .

الحسـين عليـه السـلام هـو القائـل: "لا أقـر لكـم إقـرار العبيـد"، الحسـين عليـه السـلام هـو الـذي قـرر في حيـاة الإنسـان مـما هـو مـن قـرار الإسـلام أن لا طاعـة لمخلـوق في معصيـة الخالـق

فكـر الإمـام الحسـين الـذي ظـل مطموسـاً مـدى طويـلا، والـذي لـولا ثـورة الإمـام الحسـين عليـه السـلام لظـل منسـياً

فكـر الإمـام الحسـين عليـه السـلام ألا طاعـة لـولي أمـر يخـرج عـن طاعـة اللـه عـز وجـل، ليـس هنـاك تطبيـق عـادل، تطبيـق صحيـح لقولـه "أطيعـوا اللـه وأطيعـوا الرسـول وأولي الأمـر منكـم" عـلى أوليـاء أمـر لا يطيعـون اللـه سـبحانه وتعـالى، هـذا الفكـر ظـل مطموسـاً

هـذا الفكـر ظـل محاربـاً حتـى نفسـه مـن خـلال دم الحسـين عليـه السـلام وأشـلاء جسـم الإمـام الحسـين عليـه السـلام.

بـدأت شـعوب الأمـة ترتفـع عقيرتهـا بنـداء الإمـام الحسـين عليـه السلام "هيهات منا الذلة"، إنها عـودة أولية لمدرسة الإمام لحسين عليـه السـلام، عـودة أولية لخـط الإمـام الحسـين عليـه السـلام

ولـو تمـت هـذه العـودة وكملـت وأخـذ النـاس برشـد الإمـام الحسين عليـه السلام وبفكره وبالنظـام الـذي ينـادي، لـو أخـذ النـاس بذلـك لتحولـت الدنيـا إلى جنـة نعيشـها في هـذه الحيـاة قبـل جنـة الخلـد.

صحيـحٌ أن هنـاك عـودة ولكنهـا عـودة في بدايتهـا، وعـودة يخالطهـا الكثـير مـن التشـويش، عـودة يمكـن أن تحقـق نـصرًا عسـكريًا لبعـض أجـزاء الأمـة، يمكـن أن تحقـق حكـماً، وصـولاً للحكـم، تسـلماً للحكـم، ولكـن الحكـم الـذي يـراه الإمـام الحسـين عليـه السـلام، الانفتـاح عـلى الأمـة، الانفتـاح عـلى كل قطاعـات الأمـة، الحكـم الـذي كان يحملـه وعـي الإمـام الحسـين عليـه السـلام، العـدل الـذي كان ينـادي بـه الإمـام الحسـين عليـه السـلام، العبوديـة للـه، القضـاء عـلى عبوديـة الطاغـوت في الأرض، تحـت أي عنـوان مـن العنوانـين.

هـذا يَتـم!؟ وبـأي مقـدار يتـم؟ نسـأل اللـه للأمـة الرشـد، وللحـركات الإسـلامية التـي وصلـت إلى كـرسي الحكـم أن تهتـدي بهـدى الله ورسـوله والحسـين عليـه السـلام.

يوم كربلاء...
حقيقةُ المواجهة*

كانت يومَ كربلاء مواجهة... كانت جبهتان... كانت قيادتان... كان جيشان لكن ما هي روحُ المواجهة... ما حقيقتها؟!

الجبهتان... الجيشان منضويان تحت اسم الإسلام، ولو انتصر الحسين عليه السلام ما اختلف تعامله مع هذا الجيش عن تعامل أبيه عليه السلام مع مَنْ حاربه من الخارجين على خلافته من مسلمين، فلا غنائمَ ولا استرقاق[1].

فأين روحُ المواجهة بين الجبهتين في كربلاء، وحقيقتها؟

لا شكَّ في أنّ الإسلام العامَّ الظاهريّ الذي يستوجب حرمةَ النفس والمال والعِرض، وتترتّب عليه الحقوق الثابتة لكلّ مسلم على أخيه المسلم تكفي فيه الشهادتان مع عدم ما يُوجب الحكم بالارتداد لكن مع هذا القَدَر المشترك بين المسلمين قد يكون الفارق بين مسلم ومسلم آخر كبيراً جدًّا، والمسافة واسعة إلى حدٍّ بعيد بعيد بين مسلم وآخر فيما هما عليه من إيمانِ الداخل، والمستوى الفكري والشعوري والسلوكي في قضية الالتزامِ بالإسلام، فقد يكون ما بين مسلم وآخر في هذا كلّه مسافةَ ما بين السّماء والأرض[2].

---

[*] خطبة الجمعة (٥٣٠) ٨ محرم ١٤٣٤هـ-٢٣ نوفمبر ٢٠١٢م

[١] لو انتصر الحسين عليه السلام لما استرقّ أحدًا من جيش يزيد، ولما أخذ غنائم.

[٢] هذا مسلم وهذا مسلم، هذا يجب حفظ دمه، وهذا يجب حفظ دمه، لكن مسلم في مستوى الأرض، ومسلم آخر في إيمانه وفي سلوكه الملتزم بالإسلام في مستوى السماء.

وفي كربلاء تواجَه جيشان

أحدهما بقيادة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله وأحد المعنيّين بآية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودّة، وحديث السّفينة، وحديث الثقلين، وسيّدَي شباب أهل الجنّة[٣]

والآخر بقيادة عمر بن سعد الذي عاش حيرة نفسية كما يقول الشّعر المنقول عنه أو المعبرِّ عن حاله بين قتل الحسين عليه السلام والتوفُّر على الولاية على بلاد الرّيّ، أو عدم التورُّط بدمه الزكي فِرارًا من النّار لكن مع خسارة تلك الولاية[٤].

وعمر بن سعد هو مأمور يزيد في هذه الحرب... يزيد الذي لم تُبقِ سيرته العملية سُتْرَةً تُواري فسقه وتحلُّله ولم يتوانَ التاريخَ وأقلام الكتّاب والعلماء من أهل المذاهب الإسلامية المختلفة عن بيان ذلك[٥]، وإن كانت سياسة هذه الأيام قد تذهب إلى وجوب الاقتداء به وتقديسه.

والمواجهة بين هذين الجيشين

مواجهة بين إسلامٍ سماويّ وإسلام من صناعة الأرض باسم السّماء

بين إسلامٍ إلهيٍّ وإسلامٍ يغلب عليه هوى البشر

بين عبادة الله عزّ وجلّ وعبادة الطّاغوت

---

[٣] وأحاديث كُثُر جاءت في أهل البيت عليهم السلام.

[٤] ثمّ مالت به النفس إلى أن يقتل الحسين عليه السلام ليربح ولاية الري، مقبلا على النار، ذاك قائد جيش إلى الجنة وهذا قائد جيش إلى النار.

[٥] مستوى شخصية يزيد وتردّي هذا المستوى لم يُكتب بأقلام أهل مذهب دون آخر.

بين حاكميّة الخالق وحاكمية المخلوق

بين الدّخول في طاعة الله تبارك وتعالى، والدّخول في طاعة سلاطين الأرض دون الله

بين الإرادة الإنسانية المنشدّة إلى الله العليِّ العظيم والشّهوة الحيوانيّة الحبيسة في الطّين

بين أجمل ما يحمِلُه المضمون الإنساني من فِكرٍ نيّر، وشعور طاهر، وسموّ هدف، وغاية بعيدة نبيلة، وقِيَم رفيعة، وخلق كريم، وروح عطاء وإيثار، وعِشق عميق للجمال الحقّ الأبديّ، وخُلُقٍ عال، وبين أقبح ما في إنسان من شُحّ وضيق وأثرة وجهل وانغلاق وغرور وسَفَه وظلم وسقوط وانكبابٍ على شهوات الأرض، وحقد وتعطّش للدّماء وتلذّذ بعذابات المستضعفين، وروح تسلّق وانتهاز وسرقة لمتاعب الآخرين وشهية ونَهَمٍ في الأكل من لحوم الناس وامتصاص دمائهم[٦].

وهذه المواجهة قائمةٌ في كلّ نفسٍ[٧]

ما لم يعصِمْها عاصم من الله سبحانه، وفي كلِّ مجتمع، وكلِّ زمان، ومكان. وهي منطلق كلِّ مواجهة من مواجهات الخارج في صورها ومستوياتها المختلفة، وفي كلّ ميدان من ميادينها.

وقد جسَّد كلٌّ من الجبهتين في كربلاء نوع رؤاه وأهدافِه، وقِيَمه وأخلاقه، ومنهجه وأطروحته في الحياة، والصّورةِ الإسلامية الأصيلة أو المكذوبة على الإسلام، وموقفه من قيمة الإنسان، والأُمّة،

[٦] هنا حقيقة المواجهة.

[٧] في نفسي ونفسك.

وحاكمية الله وحاكمية الطاغوت، وغاية الوجود والحياة، والنّظر إلى حقّانية الدين وحرمته تجسيدًا تامًّا كأكمل ما يكون في الجانب المشرق الوضّاء اللئلاء الكريم من المشهد، وأقبح ما يكون في الجانب الأسود الكالح الكئيب الخسيس السّاقط منه[٨].

وهو تجسيد شارك فيه نوعُ الرّموز من الطرفين، ونوع الكلمة، ونوع الموقف، ونوع الهدف، ونصوص القرآن والسنّة، ومستوى التضحية، والتطلّعات القريبة أو البعيدة للمقاتلين[٩].

هذه المواجهة بما هي مجسَّدة تجسيدًا نموذجيًّا جدًّا في طرفيها

ولأن قائد جبهة الحقّ فيها هو من لا يشكُّ مسلم في شرعية موقفه وحرصه على الإسلام والمسلمين، واحترامه لإنسانيّة الإنسان، وعدم استخفافه بدم مسلم، وأنّه لا تُحرّكه الأهواء، ولا تملكه الانفعالات، ولا يُفرّط في جنب الله **لابد أن تحيا**[١٠].

ولأن الأمّة محتاجة دائمًا إلى وعيها لابد أن تحيا. ولأن محاولات طمسها بدواعي تجهيل الأمّة مستمرّة **لابد أن تحيا**.

ولأنّ الأمرَ الشرعيَّ بإحيائها ثابت **لابد أن تُحيا**.

ولأنّها تُقدّم وعيًا في صالح الإسلام والأمّة كلّها **لابد أن تُحيا**.

ولأنّها في جانبها الحقّ نقيةٌ كلَّ النقاء، خالصة لله سبحانه، **لابد أن تُحيا**.

---

[٨] هنا تجسيد كامل للخِسّة، وهناك تجسيد كامل للرِّفعة، للمبدئية.

[٩] هذا يقول: إملأ ركابي فضة أو ذهبا. وذاك يرتمي في أحضان الموت من أجل الله سبحانه.

[١٠] هتاف جموع المصلين (لبيك يا حسين).

الدّم المنتصر*

انتصر دم الحسين عليه السلام

والشهداء النبلاء تحت رايته على سيف الباطل الذي شهره يزيد في وجهه حربًا للإسلام، ومحاولة خبيثة للقضاء عليه.

وقاتِلُ الحسين عليه السلام مستعدٌّ لأن يقتُلَ

ألف نبيّ، وألف رسول استجابةً لهوى نفسه السَّاقطة، وانسياقًا وراء ضلالته. وما سَلَكَ مَسلَكَ يزيدَ سالكٌ واقتدى به إلا هان عليه كلُّ دمٍ وكلّ حرمة من حرمات الله.

والمنتصر هنا [1] ليس الدَّم بما هو دمٌ، المنتصر في الحقيقة ما وراء الدّم من

- سموّ الفكرة التي أرخصتَه
- وصِدْق الإيمان الذي هوّن بذلَه
- وجلال الدّين
- وجمال التقوى العامر به قلبُ صاحبه
- والعشقُ الإلهيُّ الذي كان زخّارًا به
- وتعلُّقه بدارٍ لا يعدل شيءٌ من هذه الدار الدنيا شيئًا منها
- وهدفٍ فوق كلّ هدف، وفوق كلِّ لذّة، وفوق كلِّ نعيم، وهو منتهى الأهداف، ألا وهو رضوان الله تبارك وتعالى الذي لا طلب للبيبِ عقلٍ بعده[2].

---

[*] خطبة الجمعة (٥٧٧) ١١ محرم ١٤٣٥هـ - ١٥ نوفمبر ٢٠١٣م

[1] قلنا انتصر دم الحسين عليه السلام والشهداء على سيف يزيد وعساكره، فمن هو المنتصر حقًا؟

[2] هذا هو المنتصر.

على الدم أولاً أن يطهر ويزكو، ويشفّ ويسمو، ليكون له النصر، وله الخلود.

وما كان لِدَمٍ أن يكون منتصرًا كلّ القرون، وخالدًا وقائدًا إلى الله سبحانه باستمرار إلا دمٌ قلبٍ لا يفارقه ذكر الله، ولا يُخالط توحيدَه له شرك، ولا يكون بذلُه إلا خالصًا لوجهه الكريم[٣].

ودم الحسين عليه السلام من هذا الدم

- **ولذلك انتصر، وسيبقى منتصرًا، ولذلك قادَ أجيالًا على طريق الحقّ، وسيواصل قيادتَه للناس على هذا الطريق**

- **ولذلك كانت له الحرارةُ الدافعة، والطاقة المحرّكة في قلوب المؤمنين، والتي لا تبرُد[٤]**

- **وتدفع دائمًا لمقاومة الظلم، ومناهضة الباطل، والانتصار للحقّ.**

- وأمَّا الدّم الباغي، والفاسق، والفاجر، وما حرّكته روحُ الطمع الدنيوي، والعصبيَّة الجاهلية، وشهوات الأرض، وهوى التسلُّط، ورغبة الاستكبار على النّاس فهو دم ساقط، ودمٌ هباء، وضياع، وسُبّة، وعار، ولا مكانة لهذا الدّم القذِر في نفس إنسان يعيش الكرامة الإنسانية في نفسه.

---

[٣] ذلك هو الدم الذي يبقى رغم تقادم الزمن ومرور الأيام والليالي والسنين.. يبقى حتى آخر إنسان على وجه الأرض.

[٤] أثران: حرارة المصاب، ودافعية الثورة.

إنما كانت ثورة الحسين عليه السلام

- الشمسَ التي لا تغيب
- والمدَّ الذي لا يُقه
- والطاقةَ التي لا تنفد
- والمحرِّكَ الذي لا يتوقَّف
- والهداية التي لا تنطفئ

لأنها كانت ثورة الحسين عليه السلام حيث هو الإمام الحقّ... ثورةَ ذلك الدّم الطاهر الزكي الرسالي المشعّ بالإيمان... ثورةَ الإسلام بكلّ حقيقته وأصالته ونورانيته التي هي من نور الله عزّ وجلّ وهداه. «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»[٥].

وحرارةُ الدفع لهذه الثورة، وحرارةُ المأساة التي ارتكبتها أمةُ الإثم في حقّ ابن نبيها العظيم صلَّى الله عليه وآله إنَّما هي **وفي كل الأجيال في قلوب المؤمنين**[٦] الذين يُوصِلُ عقولَهم بعقل الحسين عليه السلام ما لهم من سلامة عقل، وسلامة تفكير، وسلامة خيار في هذه الحياة، ويوصل قلوبهم بقلبه ما فيها من إشعاعات الإيمان، وأرواحَهم بروحه ما هي عليه من درجة طُهر روحٍ وزكاة.

لهم هدف من هدفه، همٌّ من همّه، إرادةٌ من إرادته، لهم حبٌّ لله سبحانه، وانشدادٌ للحقّ مما للحسين عليه السلام من حبِّ ربّه عزّ وجلّ، وما له من انشداد للحقّ وذوبان فيه.

---

[٥] ٣٢/ التوبة.

[٦] في قلوب من هذه الدافعية وهذه الحرارة؟ في قلب الفاسق، في قلب الفاجر؟ لا، في قلوب المؤمنين.

وهـذا مـا يجعـل لمأسـاته عليـه السـلام حـرارة في قلوبهـم، ويجعـل ثورتـه مشـتعلة نارهـا في نفوسـهم، ودفعهـا حيًّـا في وجودهـم وحياتهـم[٧].

ولأن ثـورة الحسـين عليـه السـلام ثـورةُ الحـقّ، وثـورةُ العقـل، وثـورةُ الديـن والضمـير، وثـورة الحريّـة والانعتـاق فـإنّ لهـا انتصـارًا مـن كلِّ إنسـان بقـدر مـا يعرفـه مـن الحـقّ، ويعـرف الحسـين عليـه السـلام، ومـن كلّ ذي عقـلٍ بمقدار مـا لـه مـن عقـل، ومـن كلّ ذي دينٍ وضمـير بمـا هـو عليـه مـن حـاقّ الدّيـن، وصِـدْق الضمـير، ومـن كلٍّ عاشـق للحريـة، وتـوّاق للانعتـاق. ذلـك بغـضِّ النظـر عـن المـكان والزمـان وفـارق الجنـس، والعنـصر، والانتـماء.

وكـما كانـت ثـورة الحسـين عليـه السـلام مـن أجـل كلِّ إنسـان، وكلّ الأجيـال، وكلّ الأمـم، فـإنّ كل إنسـان ذي إنسـانية يلتقـي مـع الحسـين عليـه السـلام في ثورتـه وأهدافهـا وقيمهـا وأخلاقيّتهـا العاليـة، ينتـصر لـه ولثورتـه المباركـة بمـا يكـون لـه مـن احتفـاظ بإنسـانيته وإحسـاس بهـا، ومعرفـة بالحسـين عليـه السـلام والثـورة.

كلُّ مـن يـرى أنَّ لـدم الإنسـان حرمـة، وللإنسـان نفسـه حـقَّ الحيـاة الكريمـة، والتمتّـع بالحريّـة البنّـاءة النظيفـة الراقيـة، والأمـن اللائـق بـه، وأنّ لـه كرامـة لا يصـح أن تُهـدر، فلابـد أن يكـون مـع ثـورة الحسـين عليـه السـلام ونصيرًا لهـا، إذ لا هـدف لثـورة الإمـام عليـه السـلام وهـي تطلـب رضـوان اللـه سـبحانه، وتنطلـق مـن هـدى دينـه، ولا تتعـدى الديـن الحـقّ في كل مـا تأتيـه وتدعُـه، وتهـدف إليـه إلا حريّـةُ الإنسـان وكرامتـه وسـعادته[٨].

[٧]- هتاف جموع المصلين (أبد والله ما ننسى حسينا).

[٨]- ليـس الإنسـان في الجزيـرة العربيـة، الأمـة العربيـة، أو جغرافيـة محـدودة، بـل كل إنسـان، وفي كل الأجيـال.

وما أعظم الحسين عليه السلام!!
وما أصدقه مع الله تبارك وتعالى، وما أسمى ثورته!!

تساقطت أجساد الشهداء يوم كربلاء لتستقرّ في ثراها المضمّخ بدماء الشهادة في سبيل الله، ولترتفع الأرواحُ زكيّة راضية مرضية لبارئها لتجد عنده الكرامة والنعيم...

تساقط الشّهداء أجسامًا حتى آخر نصير، وأُفرد الإمام الحسين عليه السلام بين عساكر بن زياد ويزيد من جحافل الضلال ليكون مرمى كلّ السهام، ومقصد كلّ الرِّماح، ومهوى كلِّ السيوف، وليكون وهو المفرد الوحيدُ كلَّ الإيمان الحقّ، وكلَّ العزم، وكلَّ التصميم، وكلَّ الشَّجاعة والثبات.... ليكون الإسلامَ في أجلى صورة، وليحيا على يده في تلك اللحظات الصعبة الحاسمة المريرة كلّ التاريخ الحافل بصمود وتضحيات وبطولات الأنبياء، وقوةِ إيمانهم القاهرة، وليكون وهو وحده بلا ثانٍ في تلك الحال الأمةَ الإسلامية كاملةً[٩] حيث يكتمل لها إسلامها، وحيث تعتنق بصدق وجدٍّ إسلامها، ويخلص توحيدها، ولا ينال من هُداها وإخلاصها لله سبحانه ظرف من الظروف، ولا تلين عزيمة لها على طريق ربّها العظيم أمام قوى الأرض جميعًا وكلّ طواغيتها، وليُقدّم دليلًا على عظمة الإسلام، وما يعطيه النفسَ البشرية من قوّة الصمود عن وعي، وفي سبيل إحقاقِ الحقّ، وإبطال الباطل وإن يكن ما يكون[١٠].

[٩] ولكن الأمّة في أيّ حالاتها؟

[١٠] هتاف جموع المصلين (لبيك يا حسين).

وعد النَّصر الإلهي.. لمن؟*

من أراد الله نصره لابد أن ينتصر، ولا غالبَ له، ومن أراد هزيمتَه فلا يمكن له الانتصار، ولا بدَّ له من الهزيمة فإرادة الله لا يردُّها رادٌّ، ولا يقهرها قاهر، ولا تقف أمامها الظروف، ولا تتبع حالة الأسباب، كيف وكلّ الأسباب خاضعةٌ لإرادته وجودًا وعدمًا، حدوثًا وفي مرحلة البقاء؟!

يقول سبحانه: «... وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»[1]، «إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ»[2].

وهذا مفروغ منه واقعًا وحقًّا، وفي فكر المؤمن وشعوره.

وقد وَعَدَ الله المؤمنين بالنصر «... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»[3]، «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»[4]، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»[5].

وتُجيب الآيةُ الأولى وكذلك الثالثة من هذه الآيات على هذا السّؤال:

أوعدُ الله للمؤمنين بالنصر مُطلقٌ أم مشروط؟

إذ تُجيبان بأنه وَعْدٌ مشروط، والشرط أن تكون نصرتهم لله؛ لدينه ومنهجه فيما يتّصل بأمر دنياهم وآخرتهم حيث لا صلاح لهم، ولا كمال، ولا سعادة في أمر دنيا أو آخرة إلّا بحاكميّة الدِّين، وأخذهم به والاستجابة إليه.

---

[*] خطبة الجمعة (٥٤٨) ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ- ٢٩ مارس ٢٠١٣م
(العنوان الأصلي للخطبة هو «وعد النصر»، وقد تم تبديله بتصرف)

[١] ١٢٦/ آل عمران [٣] ٤٠/ الحج [٥] ٧/ محمد
[٢] ١٦٠/ آل عمران [٤] ٤٧/ الروم

ومتى يصدق موقفُ النصرة لله[٦]؟

يتوقف ذلك على أمور:

١. بَذْلُ ما في الجهد، واستفراغُ ما في الوِسْعِ من الإعداد، ثمَّ البّذْلُ والعطاء والتضحية.

٢. الأخذُ بالأسلوب العمليّ الأنجع[٧].

٣. وحدة الصّفّ وبناؤه بناء رصينًا متماسكًا.

٤. خضوع كلِّ الوسائل، والخطط، والخطى وفي كل المراحل، والمنعطفات[٨] للأحكام الشرعية.

٥. أن تكون الرّايةُ من رايات الحقّ.

٦. إخلاصُ القصد لله.

٧. عدم استكثار البذل في سبيل الله، وعدمُ المنّ عليه، وطلبُ النصر من عنده، والتوكُّل عليه.

٨. الثبات على الطريق وعدم التراجع وإن أبطأ النصر، فالله هو العالم بالمصالح والمفاسد والآثار والعواقب، وما قد يتسبّب فيه النصرُ العاجل من مضارّ، وما قد يختزنه النصرُ الآجل من فوائد، وما يُؤدّي إليه طول التجربة من عطايا.

وإنَّ خيرَ نصر يتحقّق لشخصٍ أو جماعةٍ أو شعبٍ أو أمَّةٍ لهو النّصر على النفس، والاستمساك بالحقّ، والاستقامة على الطريق، والثبات على خطّ الغاية الكبرى من كمال الذّات،

---

[٦] تحقيقًا للشرط الذي اتخذته الآية مقدّمة لنصر الله.

[٧] وليس لك أن تتخيّر بين كلّ الأساليب في عرض واحد.

[٨] السهلة والصعبة.

ورضا الله، والمصير إلى الجنّة، وذلك لا يكون إلَّا بالأخذ بالدّين الحقِّ، ومجاهدة النفس على طريقه، وضَبْط التصرف كلّ التصرّف في ضوئه.

وإنّ شرَّ هزيمة يقع فيها فرد أو جماعة أو شعب أو أمّة لهي الهزيمة أمامَ النفس، والخسارةُ لإرادة الخير فيها، وضعفُها أمام المشتهيات، ومواقعتها للرّذيلة.

والنصرُ يعقبُه ظلمٌ من المظلوم هزيمة[٩]، والنصر يُغري بالفساد في الأرض هزيمة، والنصر يُطغي ويُضلُّ هزيمة، والنصر يَبعُدُ بالمنتصر عن الله عزّ وجلّ ويُصيبُ المنتصرَ بالاستكبار أعظمُ كارثةٍ له، وأسوأ هزيمة.

وعلى السَّاعين من المؤمنين للنصر أن لا ينسوا الله في هدفٍ أو أسلوب، وأيّ ممارسة ووسيلة؛ فما من حقّ من نَسِي الله في شيء من ذلك أن يطلب منه النصر، أو يتعجَّلَ الفرج.

وليس للصفّ المؤمنِ المتمزّق والمتباغض أو المتنافس على الدّنيا، والمباهي بعضُه بعضًا بالقليل أو الكثير مما يُعطي ويبذُل ويُضحّي أن يتوقعّ النصر، ويُسِّرَ له الله أسبابه، ويفتح عليه أبوابه.

وإن يوم نصر للمؤمنين يغلبهم فيه سحرُ الدنيا، ويأسرُهم زخرفها، فيقتتلون لمنَصب من مناصبها كما يقتتلُ الآخرون ممن لا طمع لهم في الجنّة، ويُسفحون الدّمَ الحرام وراء المواقع لهو يومُ شؤمٍ وسوءٍ وكارثةٍ كبرى وعارٍ وفضيحة، وهو يومٌ يسيء للإسلام ويضرٌّ به.

ولنصرٌ لا يعِفُّ طالبوه عن ارتكاب الإثم والأخذ بكلّ وسيلة وإن خسّت وحَرُمت ليس هو النصر الذي يطلبه المؤمنون.

---

[٩] أن أتبدّل، أن أأخذ أنا المظلومَ محلّ الظالم، وأن يأخذ الظالم محلّي هذا نصرٌ هزيمة.

كربلاء نصرًا وهزيمة

لتتعلّم أجيال الأمّة من كربلاء ونتيجتها

ألّا تقاتل إلّا في مرضاة الله، وهدى أحكام شريعته

وإلّا فإنّ كلّ نصر، وكلّ ما يحقِّق ذلك النصر، وكلّ ما ينتج عنه لا يُمثّل إلّا هزيمة، ولا يعني إلّا خسارةً من حيث يأتي على حساب دين الله مخالفًا لأهدافه.

آية الله قاسم